ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٣٨) / عبد الحليم الغِزّي
المذهب الطوسي (ج١٩)
البوم تاريخي (ق٣)
الصورة الثالثة : لعنة الطوسي
الجمعة : ٧/جمادى الاولى/١٤٤٤هـ - الموافق ٢/١٢/٢٠٢٢م

الجزءُ التاسعَ عشر من عُنواننا الـمُتقدِّم في الحلقاتِ الماضية: "**الـمَذْهَبُ الطوسي**".
وصلتُ بِكُم أن فتحتُ لَكُم ألبوماً تأريخياً؛
- عرضتُ الصورةَ الأولى؛ عنوانها "**شافعيّةُ الطوسي**"، ولا أريدُ أن أُعيدَ الكلامَ بِخُصوصها.
- وعرضتُ الصورةَ الثانية لكنَّني لم أُكمل كلامي بخصوصها، الصورةُ الثانية: "**عبّاسيّةُ الطوسي**".
في الجزء الثامن من كتاب (الكاملُ في التاريخ)، لابن الأثير المتوفّى سنة (٦٣٠) للهجرة، طبعةُ دارِ الكتبِ العلميّة، بيروت، لبنان.
وصلتُ معكم إلى أحداث سنة (٤٥٠) للهجرة:
لا زلنا نتحدَّثُ عن فتنةَ البساسيري، سأقرأ عليكُم ما جاءَ مذكوراً في هذا الكتابِ بخصوص مَقتله لأنَّ السلاجقةَ أرسلوا جيشاً إلى الكوفة وأنتُم تعرفونَ فإنَّ النَّجَفَ بجوارِ الكوفةَ، نَحنُ نتحدَّث عن سنة (٤٥٠)، يعني أنَّ الحوزةَ قد تأسّست في النَّجَف لأنَّ الطوسي انتقلَ إلى النَّجف سنة (٤٤٨)، وَعدنان ابنُ الشريف الرّضي الَّذي كانَ نقيباً للطالبيين، وكانَ وسيطاً مُباشراً فيما بينَ الطوسي وبينَ الحكومة العبّاسيّة، توفّي أيضاً سنة (٤٤٩) للهجرة.
إذاً الطوسي في النَّجف أسَّسَ الحوزةَ وأسَّسَ مَذْهَبهُ وضَحكوا علينا من أنَّ النَّواصبَ نواصبَ سقيفة بني ساعدة أرادوا الفَتْكَ بالطوسي، صحيحٌ هجموا على داره أحرقوا كُتُبه، وليُعلم من أنَّ الأمرَ هذا تَكرّرَ أكثرَ من مَرّة لكنَّهُ لم يُصَب أحدٌ بضرر، لأنَّ القضيّةَ تَمَّ الاتفاقُ عليها، مثلما وقفَ عدنان الَّذي لُقِّبَ بالشريف المرتضى والَّذي كانَ نقيباً للطالبيينَ والعَلَويّين مثلما وقفَ لحماية جند السلاجقة هُو والشيعة في منطقة الكَرخ، هذا وغيرهُ يُشيرُ إلى وجودِ ترابُط خَفي في الموضوع، لذا لم يَتعرضوا للطوسي حينما أرسلوا الجيشَ لقتل البساسيري، نهبوا الكوفة لكنَّ النَّجفَ لم تتعرض لأي نوعٍ من المخاطر، لأنَّ الطوسي كانَ فيها وهو بصدد تأسيس مَذْهَبٍ جديد لخُداع الشيعة ولمُصادرة دينِ العترة الطاهرة مثلما فعلوا في نقابة الطالبيّين فَصادروا واقعَ المعارضة الطالبيّة والعَلَويّة.
صفحة (٣٤٧)، من الجزء الثامن من كتاب الكامل لابن الأثير: **أَنْفَذَ السُّلطان** - هذا السلطانُ السلجوقي - **بعدَ استقرار الخليفة في داره جيشاً عَليهِم** - "عليهِم"؛ يعني يقودُهم - **خُمارتكين الطغرائي في ألفي فارس نحو الكوفة، فأضافَ إليهم سرايا ابن منيع الخَفَاجي** - هذا خرجَ بِقُوّة لمواجهة البساسيري، شخصيّةٌ من شخصيّات الحلّة، يعني هُناكَ قُوّةٌ تُركيّةٌ من السلاجقة معَ قُوّة عراقيّة سرايا ابن منيع الخَفَاجي ساروا تحتَ لواء السلاجقة لقتال البساسيري.
- **وكانَ قد قالَ للسُلطان: أرْسِل معي هذه العدّة حتَّى أمضِيَ إلى الكُوفة وأمنعَ البساسيري من الإصعاد إلى الشَام** - أن يَفرّ من أيدينا أن يتوجَّه إلى الشام - **وسار السلطان طغرل بك في أثَرِهم فلم يَشعُر دُبيس بنُ مَزْيد** - من أمراء الأسديّين المَزْيَديّين الحلّيين، كانَ مُوافقاً للبساسيري - **والبساسيري إلَّا والسريَّةُ قد وصلت إليهم ثامنَ ذي الحجّة من طريق الكوفة بعد أن نهبوها** - هذه القُوّةُ نَهبت مدينةَ الكوفة وتوجَّهت إلى البساسيري - **وأخذَ نُورُ الدولة دُبيس رَحْلَهُ جَميعهُ** - "رَحلهُ"؛ ما كانَ معهُ ربَّما من أفراد أسرته، من طاقمه الخاص من أقربائه ومُساعديه، ما كانَ معهُ في سفره ذاك من الأشخاص أو من الأثاث والمواد الَّتي كان يَحملها، هو هذا الرّحل - **وَأحدرهُ إلى البَطيحة** - منطقةٌ - **وجعَلَ أصحابُ نُور الدولة دُبيس يرحلونَ بِأهليهم فَيتبَعُهم الأتراك فتقدَّمَ نُورُ الدولة ليردَّ العربَ إلَى القتال فلم يرجعوا، فمضى ووقف البساسيري في جماعته** - يعني أنَّ العراقيينَ الشيعة غدروا بالبساسيري وهذا هو شأنُ العراقيين، هؤلاء هُم عربُ الحلّة، وقفوا مع البساسيري لأنَّهُ كانَ يَدعو إلى مُناصرة الشيعة، بغَضِّ النَّظرِ عن صدقِ نيّته أو عن عدمها ولكنّ وقائع التأريخ هي هي.
- **وحَملَ عليه الجيش** - الجيشُ السلجوقي - **فَأسَرَ من أصحابه أبو الفتح ابنُ وَرَّام وأسرَ منصور وبَدران وحمّاد بَنو نُور الدولة دُبيس** - هؤلاء كُلُّهُم شيعةٌ ومن عرب الحلّة من الأسديّين - **وضُرِبَ فرسُ البَساسيري بنشَّابَةٍ وأرادَ قطعَ تجفافه** - "التجفاف"؛ ما كانَ يُوضَعُ على الفرس بمثابة درعٍ لها، يعني البسياسيري أرادَ أن يقطعَ تجفافَ الفرس يبدو كي يتهيأ للفرار - **لتسهُل عليهِ النَّجاة فلم ينقطع** - لم ينقطع التجفاف - **وسقطَ عن الفرس** - سقطَ البساسيري عن الفرس - **ووقعَ في وجهه ضَربةٌ ودَلَّ عليه بعضُ الجرحى فأخذهُ كُمشتكين دواتي عميدُ الـمَلك الكَنْدري وقَتلهُ وحملَ رأسهُ إلى السلطان** - إلى السلطان السلجوقي إلى طغرل بك - **ودخلَ الجُندُ في الظعنِ فساقوهُ جَميعهُ وأخذت أموالُ أهل بغداد وَأموالُ البساسيري معَ نِسائه وأولاده وهَلَكَ من النَّاسِ الخلقُ العظيم، وأمرَ السُلطانُ بحملِ رأس البساسيري إلى دار الخلافةَ فَحُمل إليها** - إلى آخرِ ما جاء من الكلام.
الحكايةُ واضحةٌ جِدّاً جيشٌ عبّاسيّ سلجوقيّ يأتي إلى الكوفة ينهبُ الكوفة يتوجّهُ إلى قتال البساسيري ومَن معهُ، يَقتلونَ البساسيري، يقتلونَ أصحابهُ، يُؤسَرونَ النِّساء والرجال، يُسيطرونَ على الأموال ويعودونَ إلى بغداد لكنَّهم لم يتعرّضوا إلى النَّجف بسوء، لماذا؟! إذا كانَ الطوسي قد فرّ من بغداد منهم مثلما يضحكونَ علينا من أنَّه فرّ من النَّواصب فَرّ من السلاجقة، فإذا كانَ الطوسي فرّ من العبّاسيّين، فرّ من السلاجقة ولم يَكُن مُقرباً من السُلطة العبّاسيّة، وما جرى من هُجوم على بيته و حرق لكُتبه من خلال هذه التفاصيل واضحٌ أنَّ الأمرَ كانَ مُدبَّراً كي يكونَ عُذراً للطوسي للخروج من بغداد وللابتعاد عن مُشكلة البساسيري وأن يتفرّغَ لتأسيس مَذْهَبه كي يَكونَ مَذْهَباً خامساً معَ بقيّة المَذاهب الَّتي تبنّتها الدولةُ العبّاسيّة، الأمورُ تظهرُ من خواتيمها بعدَ أن أسَّسَ الطوسي مَذْهَبهُ لم يتعرّض العبّاسيّونَ لشيعة الطوسي، لم يتعرّضوا لهُ، واستمرّت المرجعيّةُ في وَلَده ومن بعد وَلَده في حفيديه، ماذا يعني ذلك؟ يعني أنَّ الطوسي قد نَجحَ في تأسيس الـمَذْهَب الَّذي يكونُ مُوافقاً للبرنامج العباسي..
مُلاحظةٌ سريعةٌ: إذا ما دَقَّقتُ في كُتب التأريخ في تلكَ المرحلة فإنَّني أجدُ ذِكراً واضحاً للرموز الدِّينيّة الشَّافعيّة على سبيل المثال؛ صفحة (٣٤٨)، في أحداث سنة (٤٥٠):
- **وفيها في شهر ربيع الأوَّل توفّي القاضي أبو الطَّيِّب الطبري الفَقيهُ الشَّافعي ولهُ كذا كذا.**
- وكذلك: **توفّي قاضي القُضاة أبو الحسين عليّ بنُ مُحمّد بن حبيبٍ الماوردي الفقيهُ الشَّافعي، وكانَ إماماً ولهُ تصانيف، إلى آخره.**
- **وفي آخرِ هذه السّنة توفّي أبو عبد اللّه الحُسين بنُ عليّ الرَّفا الضرير الفَرضي، وكانَ إماماً فَقيهاً على مَذْهَب الشَّافعي.**
هذه اللقطاتُ تتكرّر في كُتب التأريخ حينما يتحدَّثونَ عن الشخصيّات الدِّينيّة الَّتي تُتوفّى أو تتغيّر أحوالُها في كُلِّ سنة من سنين التأريخ فإنَّ هذا الوصف الشَّافعي يتكرّرُ بشكلٍ واضح..

في الجـ ـزء الرابع من (روضاتُ الجنّات في أحوال العُلماء والسادات) للميرزا محمّد باقر الموسوي الخوانساري، طبعةُ الدار الإسلاميّة/ بيروت/ لبنان/ رقم الترجمة (٤٠٠)، ترجمةُ الشَريف المرتضى، صفحة (٢٨٥)، ينقلُ السّببَ في تلقيبِ الشريف المرتضى بِعلَم الهُدى..

لماذا نقولُ للشريف المرتضى من أنَّهُ عَلَمُ الهُدى؟!

العبّاسيونَ هُم الّذين لَقَّبوه، أقرأ لَكُم الحكاية: **مَرِض الوزير أبو سعيد مُحمّد بن الحُسين بن عبد الصمد في سنة عشرين وأربعمئة، فرأى في مَنامه أمير المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب يقول لهُ: قُل لعَلَم الهُدى يقرأ عليكَ حتَّى تبرأ، فقالَ: يا أميرَ المؤمنين ومَن عَلَم الهُدى؟ فقال: عليّ بنُ الحسين الموسوي، فكتبَ إليه الوزيرُ بذلك، فقال المرتضى: اللّهَ اللّهَ في أمري فإنَّ قَبولي لهذا اللّقبِ شناعةٌ عَلَيّ، فقالَ الوزير: واللّه ما كتبتُ إليكَ إلّا بما لَقَّبكَ به جَدُّك أميرُ المؤمنين، فَعَلِمَ القادرُ الخليفةُ بذلك فكتبَ إلى المرتضى يا عليّ تقبل ما لَقَّبكَ به جَدُّك فَقَبِل وأسمَعَ النَّاس أو وأَسْمَعَ النَّاس** - بلَّغوهم، حكايةٌ مَن قال إنَّها صادقة؟!

لقطَةٌ أخرى أيضاً من المصدرِ نفسه في الصفحة السادسة والتسعين بعدَ المئتين ينقلُ عن مجريات تلكَ الأيَّام: **وبالجملة لَمَّا اضطربت الأُمَّة وازدحمت العامَّةُ أيضاً اتَّفقت كلمةُ رُؤسائهم وعقيدةُ عُقلائهم على أن يأخذوا من أصحابِ كُلِّ مَذْهَبٍ خَطيراً مَنَ المال** - خطيراً يعنيَ مقداراً كبيراً - **ويلتمسوا الألفَ ألف دراهم ودنانير من أربابِ الآراء في ذلكَ المقال، فالحنفيَّةُ والشَّافعيَّةُ والمالكيَّةُ والحنبليَّةُ لوفور عدَّتهم** - لكثرة الأعداد - **وبُهورِ عُدَّتهم** - ولكثرة أموالهم - **جاؤوا بما طلبوه** - ما طلبتهُ السُّلطةُ العبّاسيّة - **فقرّروهُ** - قرّروا تلكَ المَذاهب - **بشكلٍ رسمي على عقائدهم الباطلة وألقوهم في آرائهم العاطلة وكَلَّفوا الشيعةَ المعروفةَ في ذلك بالجعفريَّة لمَجيء ذلكَ المال** - التعابيرُ تعابيرُ مراجع الشيعة وهي مشحونةٌ بالعُجمة ولكنَّني ماذا أصنع سأقرأ الموجود - **لمَجيء ذلكَ المال** - يعني لجلبِ ذلكَ المال - **الَّذي أرادوا منهم** - يعني الَّذي أرادوهُ منهم - **ولَمَّا لم يكُن لهم كثرةُ مال** - يبدو أنَّهم: **(توانوا في الإعطاء)**، المطبوع **(توافوا في الإعطاء)** توانوا: أي تباطؤوا - **ولم يُمكنهُم ذلك وكان ذلكَ في عصر السَيّد المرتضى رحمهُ اللّه وهُوَ قد كانَ رأسَهم ورئيسهم** - إذاً أينَ أموالهُ الكثيرةُ الطائلة؟! وهل فعلاً كانَ العبّاسيّونَ يُريدونَ أموالاً من الشيعة حتَّى يعدّوا لهم قانوناً وأمراً رسمياً للاعترافِ بمذهبهم مع بقيّة المَذاهب؟! هذه حكايةٌ تُخفي وراءها ما تُخفي!!

إلى أن تقولَ الحكاية: **حتَّى أنَّ السيّد** - يعني الشريف المرتضى - **رحمهُ اللّه قد كلَّف عُصبة الشيعة بأن يَجبئوا بنصف ما طلبوه ويُعطي النِّصفَ الآخرَ من خاصَّة ماله فما أمكنَ الشيعةُ هذا العطاء ولا وُفِّقوا لتلكَ الآراء فَلذلكَ لم يُدْخلوا مَذْهَبَ الشيعة والخاصَّة في تلكَ المَذاهب، وأجمعوا على صحَّة خُصوص الأربعَة وبُطلانِ غيرها** - لكنَّ القضيّةَ ليست كذلك، لأنَّهم لو عاملوا الشيعة مثلما عاملوا بقيّة المَذاهب فإنَّهُ سيخرجُ من الشيعة مَن يكونُ مُعترضاً لذا لابُدَّ من إيجاد طريقة خاصَّة بالشيعة، إنَّها الطريقةُ الَّتي اتُّبعت من خلال الطوسي وتأسيس مَذْهَبٍ لَهم على أساس أنَّهُ دينٌ العترة وهُوَ يُخالفُ بقيّةَ المَذاهب، وهُوَ في الحقيقةِ لا يُخالفُ تلكَ المَذاهب هو مَذْهَبٌ شافعيٌ في فقهه ومعتزليٌ في عقائده، أمَّا دينُ العترة الطاهرة يختلفُ اختلافاً كاملاً عن المَذْهَب الطوسي القَذر..

يستمر الكلامُ في هذه الأجواء، ينقلُ حكايةً: **من أنَّ السيّد المرتضى رحمهُ اللّه واطئ الخليفة وكأنَّهُ القادرُ باللّه على أن يأخذ من الشيعة مئة ألف دينار** - قيمةُ جارية هذه!! قيمةُ جارية كانت تُباعُ في الأسواق والمرتضى وغير المرتضى كانوا يملكونَ من هذه الجواري، هذه حكاياتٌ ليست حقيقيّةً، هذه حكاياتٌ تُنقَلُ للشيعة حينما يتساءلونَ لماذا لم يُعترف بالمَذْهَب الشيعي بشكلٍ علني مثلما اعتُرِفَ ببقيّة المَذاهب النَّاصبيّة، العبّاسيّونَ لم يفعلوا ذلك، لماذا؟ كي يؤسّس الطوسي مَذْهَبهُ بطريقة سرّيَّة حتَّى تبقى الشيعةُ تعتقدُ من أنَّها مظلومةٌ، فأيُّ ظُلمٍ تَوجَّه للشيعة بَعد أن انتقلَ الطوسي إلى النّجف إلى أن ماتَ سنة (٤٦٠)؟! هذه حكايةُ المَذْهَب الطوسي القَذر..

بِهذا أكْملُ الكَلامَ في الصورة الثانية من صورِ الألبوم التأريخي.

الصورةُ الثالثة من صورِ هذا الألبوم التأريخي: "لعنةُ الطوسي"، إنَّها لعنتهُ الَّتي حَلَّت علينا.

لعنةُ الطوسي: آراؤه الضالّةُ، مُعتقداتهُ المخالفةُ لمنهج العترة الطاهرة، واجماعاتهُ الخاطئةُ، وفتاواهُ السَّخيفةُ، صارت ديناً، صارت مصدراً من مصادر التشريع وإلى يومنا هذا، معالمُ التشيُّع أُخذَت من الطوسي!! هذا الَّذي يُقالُ لهُ التشيُّع للعترة الطاهرة ما هو بتشيُّع للعترة الطاهرة، تشيُّعُ العترة الطاهرة موجودٌ في قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم، الطوسي يرفضُ تفسيرهم لقُرآنهم فَهُو يُفَسِّرُ قُرآنَهم بحسبِ المنهج العمري وقد أثبتُّ ذلكَ لَكُم في الحلقات المتقدِّمة، فأيُّ تشيُّعٍ هذا الَّذي رسمهُ الطوسي في مَذْهَبه؟ إنَّهُ تَشيُّعٌ لهُ، إنَّهُ تَشيُّعٌ للخليفة العبّاسي الَّذي مَنحهُ كُرسيّ الكلام القائمُ بأمر اللّه العبّاسي الَّذي سَيّدَهُ في بغداد على الشيعة والسُنَّة، لو كانَ الطوسيّ شيعياً هل يُسيّدُ علمياً على الشيعة والسُنَّة؟! هل تعتقدونَ ذلك؟!

فصارتَ فتاوى وآراء الطوسي مصدراً للتشريع لا يَستطيعُ أحدٌ أن يَفتحَ فمهُ بكلمةٍ كي يُناقشَ ما أفتى بهِ الطوسي وفقاً للمذهب الشَّافعي، من هُنا تَحوَّل الواقعُ الشيعي إلى واقعٍ شافعي.

الاخوان المسلمون في الكويت حينما وَجَّهوا سؤالاً عبرَ وزارة الأوقاف الكويتيّة إلى النَّجف يسألونَ عن برنامجٍ شرعيٍ لمَصرفٍ إسلامي، لو لم يكونوا يَعلمونَ من أنَّ النَّجفَ شَافعيّةٌ هل يُوجّهون السؤال إلى النَّجف؟! وأجابَ على ذلكَ محمّد باقر الصدر وحينما وصلَ الجوابُ إليهم عبرَ علي الكوراني الَّذي كانَ في الكويت كانَ وكيلاً لمحمّد باقر الصدر لَمّا وصلَ الـ جوابُ إليهِم وأسّسوا بيت التمويل الكويتي الَّذي هو مَصرفٌ إسلامي وفقاً لما أفتى به محمّد باقر الصدر، هذا الكلامُ في السبعينات، لو لم يكونوا يَعلَمونَ أنَّ محمد باقر الصدر سيفتي على المَذْهَب الشَّافعي، وأنَّ النَّجفَ شَافعيّةٌ هل يُوجّهونَ السؤال إلى النَّجف؟! الَّذينَ هُم أكثرُ حقداً من كُلِّ الاتجاهات على العترة الطاهرة، أتحدَّث عن الإخوان المسلمين إنَّهم أتباعُ سيّد قطب ذلكَ اللّعين!!

- **سأقرأ عليكُم من كُتُب الطوسيّين إنَّها كُتُبُ كِبار العُلماء.**

في كتاب (السرائر) لابنِ إدريس الحلّي:

في الجزء الأوَّل من طبعة مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قُم المقدَّسة/ الطبعةُ السابعة/ ١٤٣٩ هجري قمري/ في مُقدِّمة ابنِ إدريس وهو يتحدَّثُ عن الزَّمن الَّذي كانَ يَعيشُ فيه، في الزَّمنِ الَّذي عاشَ فيه ابنُ إدريس كانت المرجعيّةُ الطوسيّةُ في سُلطنتها الوراثيّة مُستمرّةً، ابنُ إدريس توفّي سنة (٥٩٨)، وولادتهُ على التقريب (٥٤٣)، مرجعيّةٌ آخرِ حفيدٍ للطوسي استمرّت إلى سنة (٥٧٣) للهجرة توفّي حفيدُ الطوسي الَّذي هو حفيدُ بنته.

في مُقدِّمة ابنِ إدريس، الصفحة الرابعة والثلاثين يقول هكذا: **إني لَمّا رأيتُ زُهدَ أهلِ هذا العصر في علم الشَريعة المُحَمَّديَّة والأحكام الإسلاميّة وتَثاقُلَهم عن طلبها وعَداوَتَهم لمَا يجهلونَ وتَضييعَهُم لمَا يعلمون** - ما هو هذا حالُ الشيعة الآن، مع أنَّ ابن إدريس هو طوسيّ أيضاً - **ورأيتُ ذا السن** - الكبار، كبار السن اغسلوا أيديكم منهم - **من أهلِ دهرنا هذا لغلبة الغباوة عليه** - أغبياء وإلى يومنا هذا - **ومَلَكَة الجهل لقياده** - الجهلُ هو الَّذي يقودهُ - **مُضيعاً لمَا استودعتهُ الأيَّام مُقصِّراً في البحث عَمَّا يجبُ عليه علْمه حتَّى كَأنَّهُ ابنُ يومه ونَتيجُ ساعته** - كأنَّه طفلٌ صغير، كبيرٌ في السن بس عقل ماكو - **ورأيتُ الناشئ المُستَقبِلَ ذا الكفايةِ والجِدّة مُؤثِراً للشهوات صَادفاً عن سُبُل الخيرات، ورَأيتُ العِلْمَ عِنانَهُ في يد الامتهان وميدانَهُ قد عُطِّل من الرهان** - إلى آخرِ ما قال.

خُلاصةُ القول: من أنَّ الواقعَ الشيعيّ كانَ واقعاً ولا زالَ كذلك..
في المقدِّمة نفسها، الصفحة الثالثة والأربعين: **ألا ترى أنَّ هؤلاء بأعيانهم يحتجّونَ في أصول الدِّينِ من التوحيدِ والعدلِ والنُبوّةِ والإمامةِ** - إنَّها منظومةُ أصول الدِّين الخمسة، منظومةُ أصول المَذْهَب الطوسي القَذر - **بأخبار الآحاد** - إلى آخرِ كلامه من هذا الخرط.
فمعَ أنَّهُ طُوسيّ وطُوسيّ إلى النَّخاع لكنَّهُ كَسَرَ قُدسيةَ الطوسي في المسائل الإفتائية، هذا هو الَّذي فعلهُ ابنُ إدريس مع أنَّهُ بَقي على كثيرٍ من فتاوى الطوسي الشَّافعيّة وأفتى بها مثلما أفتى الطوسي وهي شافعيّةٌ في أصلِها.
• **كشفُ المحجّة لثمرة المهجة.**
كتابٌ معروفٌ للسيّد ابن طاووس للسيّد رضي الدين ابن طاووس، المتوفّى سنة (٦٦٤) للهجرة على ما هُو المعروف/ طبعةُ مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي/ الطبعةُ الثالثة/ ١٤٣٠ هجري قمري/ كشفُ الم حجّة لثمرة المهجة كتابٌ وجدانيٌّ، لماذا؟ لأنَّ ابن طاووس كَتَبهُ وصيّةً لولده، فسيكونُ الغالبُ في المعلومات الَّتي تُذكَرُ في هذا الكتاب هي خُلاصةُ تجربته في الحياة، كتابٌ مُهمٌّ للَّذي يُريدُ أن يعرفَ دواخلَ شخصيّةِ ابنِ طاووس، وهو مُهمٌّ أيضاً للَّذي يُريدُ أن يعرفَ واقعَ الشيعةِ في زمانِ ابن طاووس، لأنَّ الوصيّة تتناولُ جوانبَ عقائديَّة، جوانبَ علميّة، جوانبَ اجتماعيّة، جوانبَ سياسية، إنَّها الحياةُ في مختلف جوانبها.
في الصَفحة الخامسة والثمانين بعدَ المئة: **واعْلَم أنَّ جدَّكَ وَرَّاماً قَدَّس اللّهُ رُوحه كانَ يقولُ لي** - وَرَّامُ هذا جدٌّ رضي الدين ابن طاووس من جهة أُمِّه فَهُو يقولُ لولده: (جَدُّكَ) لأنَّهُ جَدُّ أبيه، كانَ من علماء الحلّة - **وأنا صَبي ما معناهُ؛ يا وَلدي مهما دخلتَ فيه من الأعمالِ المتعلِّقة بمصلحتك لا تَقنَع أن تكونَ فيه بالدونِ دُونَ أحد من أهلِ ذلكَ الحَال** - كُنْ في مواجهة التحديّات، كُن أنتَ المتفوّق هذا هو الَّذي يُريدهُ، ووَرَّامُ هذا كانَ من عُلماء الأخلاق كانَ واعظاً - **سَواءٌ كانَ علْماً أَو عملاً ولا تقنع بالدون، وذكرَ أنَّ الحِمْصي** - والبعض يقرؤهُ (الحَمَّصي)، إنَّهُ من علماء الشيعةِ أيضاً المعروفين سديدُ الدين محمود الحمصي، هذا الاسمُ من الأسماء المعروفة في عُلماء الحلّة.
- **وذكرَ أنَّ الحَمصي حَدَّثَهُ** - حَدَّثَ وَرّاماً - **أنَّهُ لم يبقى للإماميّة مُفْت على التحقيق** - ليسَ هُناكَ من فقيه - **بل كُلُّهم حاك** - حاك يحكي ينقلُ ما أثبتهُ الطوسي - **وكانَ ذلكَ الزَّمانُ فيه جماعةٌ من أصناف العُلماء وليسَ في وَقتنا الآنَ مَن يُقاربهم في تلكَ الأشياء وأنا أعتذرُ لَهم بطول الغَيْبَة وتباعُد الزَّمانِ عن الأدلَّاء** - "عن الأدلَّاء"؛ عن آل محمّد - **الَّذينَ كانوا رحمةً للّه جلَّ جلالُه في حفظ واشتغالِ وإدراك، والآن فقد ظهر أنَّ الَّذي يُفتى به ويُجابُ عنه على سبيلِ ما حُفظَ من كلام العُلماء المتقدِّمين** - يعني أنَّ العصرَ الَّذي كانت الشيعةُ تَأخُذ فيه من الأدلَّاء من دِينِ الأدلَّاء قد وَلَّى، فالَّذي يقولُهُ ابنُ طاووس يُؤيِّدُ الَّذي أقولُهُ بخصوص المَذْهَب الطوسي من جهة من الجهات، وإلَّا فإنَّ ابنَ طاووس يُقَدِّسُ الطوسي ويفتخرُ بالانتسابِ إليه، لأنَّ أُمَّ أبيه هي من بنات الطوسي..
إلى أن يقولَ ابنُ طاووس: **والآن فقدَ ظهر أنَّ الَّذي يُفتى به** - في الجو الشيعي - **ويُجابُ عنه على سبيلِ ما حُفظ من كلام العُلماء المتقدِّمين** - وليس من حديث العترة، نحنُ نتحدَّث عن أواسط القرن السابع الهجري - **وهذا طريقٌ سَهلٌ ما يعجزُ عنهُ إلَّا مسكين، ومَن همَّتهُ همَّةُ ضعيف مَهين، وإنّي لأعلَمُ أنَّني اشتغلتُ فيه** - في علم الفتوى - **مُدَّة سنتين ونصف على التقريبِ والتقدير، وما بقيتُ أحتاجُ إلى ما في أيدي النَّاس لا قليلٌ ولا كثير** - وهذه حقيقةٌ، بإمكانِ طالب الحوزة في سنوات قليلة أن يكونَ قادراً على الاستنباط ووفقاً لمنهج العترة..
من ابن طاووس إلى محمّد باقر الخوانساري في كتابه (روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات)، الجزء السابع من طبعة الدار الإسلاميّة/ بيروت/ لبنان/ الصفحة الثالثة والخمسين بعدَ المئة/ الترجمة المرقَّمة (٦١٨): (**سديدُ الدين محمود بنُ عَليّ بنِ الحسن الحمْصي الرَّازي أو الحَمّصي الرازي**)، الرازي نسبةً إلى الرّي، الَّذي يَنتَسبُ إلى الرّي يُقالُ لهُ الرّازي، ينقلُ كلاماً عن الشَّهيد الثاني، هو زينُ الدين الجَبعي الشّامي العاملي، الشّهيدُ الأوّل يُقالُ لهُ شمس الدين، والشَّهيدُ الثاني يُقالُ له زينُ الدين وهُما شاميان عامليّان من جبلِ عامل.
نقلاً عن الشَّهيد الثاني في كتابه (الدراية)، كتابٌ صَغيرٌ معروفٌ للشهيد الثاني: **قالَ في مقام المنع من الاعتداد بالشُّهرة المتأخِّرة** - مثلما قلتُ لَكُم ما اشتُهر عن الطوسي صار مشهوراً باسم التشيّع للعترة الطاهرة - **فإلى هذا يُشير الشّهيدُ الثاني في كتابه (الدراية) حيثُ قالَ في مَقام المنع من الاعتداد بالشُّهرة المتأخِّرة عن الشيخ المرحوم** - عن هذا محمود الحَمْصي الرَّازي - **مُعَلِّلاً إيّاه بأنَّ أكثرَ الفُقهاء الَّذينَ نشأوا بعدَ الشيخ** - بعدَ الشيخ الطوسي - **كانوا يَتَّبعونهُ في الفتوى تقليداً لهُ لكثرة اعتقادهم فيه وحُسنِ ظَنِّهم به** - واستمرّ الكلامُ في هذا الاتجاه، وأشارَ أيضاً للَّذي قرأتهُ عليكُم من وصيّة ابن طاووس لولدهِ في كتابه (كشفُ المحجّة لثمرة المهجة).
في كتاب المعالم الجديدة للأصول/ محمّد باقر الصدر/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت/ لبنان/ ١٩٨٩ ميلادي/ الصفحة الثانية والسبعين: **النقطةُ الثانية** - محمّد باقر الصدر يتحدَّث عن الركود العلمي بحسبِ تَعبيره، والَّذي عَبَّر عنهُ السابقونَ؛ "بمئة العُلماء المقلِّدة"، الركودُ العِلْميُّ هذا الَّذي أسميتهُ أنا "بلعنة الطوسي"، والَّتي لا زالت مُستمرّةً إلى الآن، جهلُ مراجع النَّجف بثقافة العترة الطاهرة بسببِ لَعنة الطوسي..
- **وقد أسندَ جماعةٌ من العُلماء ذلكَ الركودَ الغريب إلى ما حَظي به الشَّيخ الطوسي، من تقديرٍ عظيم في نُفوس تلامذته رَفعهُ في أنظارِهم عن مستوى النقد، وجعلَ من آرائه ونظريّاته شيئاً مُقدَّساً لا يُمكنُ أن يُنالَ باعتراض أو يخضعَ لتمحيص، ففي "المعالم"** - كتابٌ معروفٌ من الكُتُب الحوزويّة (معالمُ الأصول) - **كَتبَ الشَّيخ حسن ابنُ زين الدين ناقلاً عن أبيه** - هذا ابنُ الشَّهيد الثاني، أبوهُ زينُ الدين الشامي العاملي، والشيخ حسن صاحبُ (المعالم) ينقلُ عن أبيه الشَّهيد الثاني - **ناقلاً عن أبيه قُدِّس سرّه؛ أنَّ أكثرَ الفُقهاء الَّذين نشأوا بعد الشَّيخ** - بعدَ الشيخ الطوسي - **كانوا يتَّبعونَهُ في الفتوى تقليداً لهُ، لكثرة اعتقادهم فيه وحُسنِ ظَنِّهم به ، ورُوي عن الحَمصي وهوَ ممَّن عَاصرَ تلكَ الفترة أنَّهُ قال: لم يبقى للإماميّة مُفت على التحقيق، بل كُلُّهم حاك** - الكلامُ هُوَ هُوَ الَّذي قرأتهُ عليكُم من (كشف المحجّة لثمرة المهجة) لابن طاووس، وكذلك ما قرأتهُ عليكم من (روضات الجنات في أحوال العُلماء والسادات)، لمحمّد باقر الخوانساري
- **وهذا يعني أنَّ رَدَّ الفعل العاطفي لتجديدات الشَّيخ قد طغى مُتمثِّلاً في تلك النَّزعة التقديسيّة على رَدِّ الفعل الفكري الَّذي كانَ يَنبغي أن يتمثَّلَ في درس القضايا والمشاكل الَّتي طرحها الشَّيخ والاستمرار في تنمية الفكر الفقهي** - هذا تحليلٌ لمحمّد باقر الصدر، تحليلٌ للشَّهيد الثاني، تحليلٌ لمحمود الحمْصي، أمَّا أنا فلا أقبلُ هذا التحليل، هذا هُراء في هُراء، الطوسي أسَّسَ مَذْهَباً وطَمرَ دينَ العترة الطاهرة، وأنشأ مَرجعيَّةً وراثيّةً من الجُهَّال والسَّفَلَة من أولادهِ وأحفاده الَّذينَ لا يملكونَ علْماً فَثبّتوا ذلكَ المَذْهَب وجاءَ العُلماء من بعدهم الَّذينَ وُصفوا بالتحقيقِ والعلْمِ وهُو هُراء هُراء، ساروا على نفسِ منهج ضلال الطوسي..
يستمرّ محمّد باقر الصدر في كلامه فيقول: **وقد بلغَ من استفحالِ تلكَ النَّزعة التقديسيّة في نُفوس الأصحاب أنَّا نَجدُ فيهم مَن يتحدَّثُ عن رؤيا لأمير المؤمنين شَهِدَ فيها الإمامُ بصحَّة كُلِّ ما ذكرَهُ الشَّيخُ الطوسي في كتابه الفقهي (النهاية)، وهو يشهدُ** - هذا الأمر - **عن مدى تغلغُلِ النُفوذ الفكري والروحي للشيخ في أعماقِ نُفوسهم** - هذه الحادثةُ سنأتي عليها في حلقةِ يومِ غدٍ حينما أُحدِّثكم عن صناعة الكرامات الكاذبة للطوسي ولسائرِ مراجع الحوزة الطوسيَّة إلى السيستاني وسآتيكم بالشَّواهد والأمثلة..

في الجزء السادسَ عشر من (مُعجمِ رجال الحديث)، للخوئي، ترجمة الشَّيخ الطوسي، تبدأ في صفحة (٢٥٧)، رقم الترجمة: (١٠٥٢٦)، الصفحة الحادية والستين بعدَ المئتين، وقد قرأتهُ فيما سلف، لكنَّني أعيدُ قراءتهُ عليكُم لأنَّهُ يُناسبُ المقام: **فقد أسّس الشَّيخُ** - والمرادُ من الشَّيخ هو الطوسي هُنا - **قَدَّس اللّهُ نفسهُ في مشهد أميرِ المؤمنينَ عليه السَّلام مدرسةً ما أعظمها وأجلَّ شأنها فقدَ تخرَّجَ عليه عددٌ كثيرٌ من الفقهاء والمجتهدين ومن العلماء المفسّرينَ والمتكلّمين وبلغَ قَدَّس اللّهُ نفسهُ من العلمِ والفضلِ مرتبةً، كانت آراؤهُ وفتاواه تُعدُّ في سلك الأدلَّة على الأحكَام!!** - يعني من مصادر التشريع وإلى الآن -

ولذلك عَبَّر غيرُ واحد من الأعلام عَن العُلماء بعدَه إلى زمانِ ابن إدريس "بالـمُقَلِّدَة"، وهذه المدرسةُ المباركة تتخرَّجُ عليها العُلماء جيلاً بعدَ جيل إلى زماننا هذَا، وقبرهُ قَدَّسَ اللّهُ نفسه مَزارٌ في الغري في مسجده إلى اليوم، وإنّي لم أظْفُر في علماء الإسلَام مَن هُو أعظمُ شأناً منه، فقد كتبَ في الفقه والأصولِ والكلامِ والتفسيرِ والرجالِ وكُتُبهُ تتناولُها الأيدي ويُستفادُ منها إلى اليوم، فحقَّاً قيلَ لهُ شيخُ الطائفة وزعيمُها، فجزاهُ اللّهُ عن الإسلامِ والمسلمينَ خَير الجزاء - عن إسلام العبّاسيّين وعن إسلامِ الـمَذَاهب الخمسة إنَّها الـمَذَاهبُ الأربعة المعروفة مع الـمَذْهَب الطوسي الخامس، تُلاحظونَ أنَّ الجميعَ يتكلَّمونَ بنفس المنطق!!

نقطتان يمكننا أن نتلمّسهما بوضوح:

كُلُّ هذا يُثبتُ صحّةَ وصدقَ رسائل الإمام الحُجَّة إلى الشَّيخ المفيد، باعتبارِ أنَّ السيستانيَّ وأمثالهُ، أنَّ الطوسيّينَ يُشكّكونَ في صحَّة وصدقِ رسائل الإمامِ الحُجَّة إلى الشَّيخ المفيد، فَينكرونَ صحَّة الرّسالتين وصدقَ الرسالتين، لكنَّ الحقائقَ على الأرض والوقائعَ الَّتي ذكرتُها لَكُم في الحلقتينِ الماضيتين وفي هذه الحلقة كُلُّ الوقائع تُشير إلى صدقِ وصحّة رسائل إمامِ زماننا إلى الشَّيخ المفيد، هذه هي الوقائع؛ (**وَمَعْرِفَتُنا بِالزَّلَلِ الَّذي أَصَابَكُم مُذْ جَنَحَ كَثيرٌ مِنْكُم إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا العَهْدَ الْمَأْخُوذَ مِنْهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون**)، هذا الكلامُ تجدونهُ ينطبقُ انطباقاً تاماً وبدرجةِ مئةٍ بالمئة على الواقع الطوسي، وعلى واقع حوزة النَّجف وكربلاء..

النقطةُ الثانية: كَذبُ وضلالُ منهجهم في تقييمِ النصوص، فإذا ثبتت هذه الرّسائلُ، الواقعُ يُثبتُها، الواقعُ في الماضي، الواقعِ في الحاضرِ أيضاً يُثبتها، إذا ثبتت هذا يعني أنَّ المنهجَ الطوسيّ منهجُ ضلالٍ وجهالةٍ وسفاهةٍ ولهو هكذا ولا شيء وراء ذلك، إنَّهُ الـمَذْهَبُ الطوسيّ القَذِرُ النَّجسُ الضال.